

وبين المفرد ; فأعربوا بعض المفردات بها ; ليأنس بها الطبع ! فإذا انتقل الإعراب بها إلى المثنى والمجموع لم ينفر منه ; لسابق الألفة!! وإنما اختيرت هذه الأسماء لأنها تشبه المثنى لفظاً ومعنى ; أما معنى فلا ستلزام كل واحد منهما آخر؟ فأتلاب يستلزم ابنا ، والأخ يسلم أخا ، وكذا البواقي وإنما اختيرت هذه الأحرف لما بينها وبين الحركات الثلاث من المناسبة الظاهرة . . . " اهـ .

5-وجر بالفتحة نيابة عن الكسرة مالا ينصرف وهو ما فيه علتان من علل تسع كأحسن، أو واحدة منها تقوم مقامها كمساجد وصحراء كما سيأتى في باب به ; لأنه شابه الفعل فثقل فلم يدخله التنوين لأنه علامة الأخف عليهم، والأمكن عندهم ; فامتنع الجر بالكسر لمنع التنوين ; لتأخيهما في اختصاصها بالأسماء، ولتعا قُديهما على معنى واحد في باب راقود خلا" ورا قود خل" ، فلما منعوه الكسرة عوضوه منها الفتحة نحو فحيوا بأحسن منها . . . (اهـ . . . هذه بعض أمثلة في التعليل من تزعة من باب واحد من أبواب النحو القديم فما الشأن لو اسنقصت كل أمثلة ذلك الباب من غير اكتفاء ببعضها؟ وماذا يكون الحال لو استقصيت الأمثلة كلها مزيداً على ما حوته الحاشية؟ بل ماذا يكون الحكم لو تتبعت كل "التعليل" في أبواب النحو كلها؟ لاشك أن الحكم سيكون قاسياً أليماً على النحو والنحاة ومن شايعوهم أو سكتوا على عملهم وهم عالمون بحقيقته مطلعون على ما فيه من خَطَاٍل وفساد ونحن من هؤلاء الآثمين، ولو أن أمر "التعليل" اقتصر على الجدل اللفظي، والتنوق الكلامي، والتسابق إلى إظهار البراعة المنطقية من غير أن يكون له أثر عملي في ضبط الكلم، وتركيب الجمل، والتحكيم في صياغة الأساليب، وصحة مفرداتها -لهان الخطب نوعاً ما، وانحصر ضرره في تصديق الرأس بالثرثرة، وإضاعت الوقت في الجعجة، واحتمال الجهد فيما لا يستحق احتمالاً، ولكن ال مر أخطر أثراً، وأفدح ضرراً، بما فيه من سيطرة عاتيه طاغية في المفردات والمركبات بل إنها لتمتد إلى